ولاء الشباب

العدد (٥٩) لشهر رجب الأصب لسنة ١٤٤٢ هـ
مجلّة شهرية تُعنى بثقافة الشباب الهادفة

- وَعَاشِرْنَهُمْ بِالْـمَعْرُوفِ
- صفة الكلام
- التَّشَاؤُمُ

١١

ولاء

الشباب

قسم الشؤون الدينية - شعبة التبليغ

مجلة شهرية تعنى بثقافة الشباب الهادفة

قال رسول الله

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

٥ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ

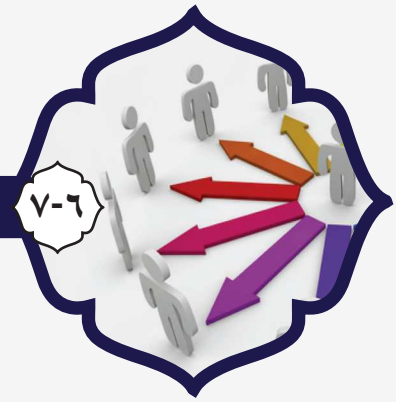

٦-٧ التأثير على الآخرين

١٢-١٣ البلوغ الفتى والفتاة

١٤-١٥ الاتفاع بالزمن

رئيس التحرير
السيد يوسف الموسوي

هيئة التحرير
السيد يوسف الموسوي
الشيخ هاني الكناني
الشيخ رعد العبادي
الشيخ محمد رضا الدجيلي
الشيخ عصام السعيدي

التدقيق
شعبة التبليغ

التصميم والإخراج الفني
حسن الموسوي

www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

جُلّ همّي الآخرة

تعدّ الحياة الدنيا دار عبور، ووصول لدار القرار والخلود ـ الآخرة ـ التي لا موت فيها ولا فناء، والواجب على المسلم أن يعمل ويجتهد لتحصيلها، كما يقتطف الفلّاح ثمار أشجاره بعد جهد وعناء في سقيها ومداراتها، وكذا الإنسان المتقي يحصّل ثمر جهده وسعيه في الحياة الدنيا بأنّ له الآخرة فالدنيا مزرعة الآخرة كما قيل.

فكيف أجعل جُلّ همّي الآخرة، وأُهيّئ نفسي للاستعداد لها؟

نعلم أنّ الله سبحانه قد خلق الإنسان، واستخلفه في الأرض لغايات عظيمة، وأهداف سامية، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات: آية ٥٦).

فإخلاص العبد في عبادة ربّه وشكر نعمه، وإقامة أوامره والالتزام بحدوده واجتناب نواهيه غاية المقصود والمُنى، وتبعاً لذلك ينال العبد ثواب أعماله في هذه الدنيا بالنتائج الإيجابية في الآخرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾(سورة محمد: آية ١٢)، لا كالمنكرين ممن استجابوا لأهوائهم وملذاتهم كما تفعل الأنعام، فقال تعالى فيهم: ﴿..وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾(سورة محمد: آية ١٢)، فالآخرة بكلا الحالين نتيجة لإعمال الإنسان في الدنيا، والفرق بينهما إمّا الخلود في النعيم أو الخلود الجحيم، ولكي يُهيّئ المرء نفسه تهيئة كلية للآخرة عليه أن لا يوغل بالدنيا الزائلة على حساب الآخرة الدائمة وكذا العكس، كأن يستأثر بأحد الطريقين على حساب الآخر، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ» (الوسائل، العاملي: ج١٢، ص٤٩).

ولأجعل جُلّ همّي الآخرة بدون ترك الدنيا من خلال أمر بسيط، هو حبّ المسلم لله، وهو أرقى التوجهات، فبه لا يخالف المحبّ تعاليم محبوبه، وبه تعالج أمراض القلوب، وتنتهي به نزعات النفوس، فالمسلم النقي متى ما تشعّب حبّ الله في خلجاته وسكناته وحركاته سعى في مرضاته بكلّ قولٍ وفعلٍ وعملٍ، وبذلك تتقوّم آخرته ودنياه فيفوز بكليهما، عندها يجزل عليه ربّه بالعطاء والبركة في العمر، والصحة، والسعادة، والأموال والأولاد، وغيرها من نِعم الدنيا وفي الآخرة أضعافاً مضاعفة أولها الخلود.

حديث المنزلة وغزوة تبوك

اتفق المسلمون على أنّ قول النبيﷺ لأمير المؤمنينعليه السلام: «يا عليّ! أما ترضى أن تكونَ أخي وأنا أخوكَ، بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَى، إلّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» كان وساماً حباه به عن الجهاد، فإنهعليه السلام لم يشارك بغزوة تبوك (٩هـ)؛ لأنّ النبيﷺ أمره أن يبقى في المدينة، علماً منه بما ينوي المنافقون من العبث والفساد في المدينة.

ولزرع الفتنة قال المنافقون إنّهﷺ خلّف ابن عمّه تثاقلاً منه، فأخمد النبيﷺ هذه الفتنة وقال: «كذب المنافقون يا عليّ! أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك، بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».(ينظر: تفسير القمي، القمي: ج ١، ص ٢٩٢).

هكذا تكلّم الذي (لا ينطق عن الهوى) ليهدم الشبهات، ويقرر الترجيح بين الأعمال، وأنّ طاعة الله ورسولهﷺ أولى وأفضل وأوفى من الجهاد وبقيّة الأعمال، فسلوك المصطفى الأحمدﷺ مع المرتضى الرضيعليه السلام طيلة حياته لا يرشدنا إلا أن يختار له أمراً، وثمّة أمر أولى منه بالأجر والثواب والمنزلة.

بل يجمع له ثواب وجزاء الأمرين، وليس ذلك على الله ولا على النبيﷺ بعسير.

فمن حيث هو أمر رسول اللهﷺ هو واجب الامتثال والطاعة.

ومن حيث إنّه كلّفه بحفظ المدينة، وهو من صنف الجهاد في سبيل الله، بل ربما أكثر أهمية ومنفعة للدين والمسلمين من جهاد السيف خارج المدينة.

ثمّ إنّهﷺ أنزله جميع منازله، ووهبه جميع مقاماته، كما كان هارون من موسىعليه السلام سوى النبوة.

فأين الجهاد من هذه المقامات النبوية.

وليس معنى هذا الكلام أنّ منزلة الجهاد منزلة دنيا أو ضعيفة عند الله تعالى، كيف والله تعالى يقول: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾(النساء: ٩٥)، لكن معنى الكلام أنّ منزلة الجهاد ناشئة من طاعة الله ورسولهﷺ، وعندما يأمر النبيﷺ أحد المسلمين بوظيفة أُخرى في وقت الجهاد، معنى ذلك أنّ هذا المأمور ليس وظيفته الجهاد حالياً، بل وظيفته طاعة أمر النبيﷺ، وبهذا المناط تكون وظيفته أعلى من رتبة الجهاد في حقّه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»

الحياة مسيرة عمل وجهد في طريق النجاح، وغير ذلك تراجع وتقهقر أمام واجب الإنسان تجاه نفسه ومجتمعه؛ لأنّ جدارة الحياة في العمل والنجاح، ومَن ينجح يختار الصواب ومنطق العقل، ومَن يفشل، أو يختار غير ذلك يكون قد اختار غير طريق السعادة والنجاح، فقد قرن النجاح بالعمل والعجز بالكسل، وهنا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد أنّ العمل أهم عوامل النجاح والرقي وتحقيق المطالب، ولا ينفع غيره لتحقيق ذلك- باعتبار أنّ الله واهب العطايا قد أكد أنّه لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فكون أحد الناس ابن رمز اجتماعي، أو ديني، أو فكري، أو غير ذلك مما له أهميته مجتمعياً ،لا يغيّر من وجه الحقيقة شيء، بل يبقى لكلٍّ عمله، فالناجح نجاحه بعمله، لا بنسبه وإن كان له اعتبار يحترم صاحبه له، لكن لا يعزز ذلك من وضعه واحترامه لنفسه أمام ضميره والحقيقة شيء؛ لأنّ لكلٍّ عمله أمام الله، وعنه يُسأل، وقد خاطب الله عباده بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(المائدة: ١٠٥).

وقال أيضاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾(الجاثية : ١٥)، نعم عمل المرء يعلو به أو يهبط، أمّا نسبه فلا يقوم مقام العمل للإنسان، والعبرة لَمن سبق بعلم أو عمل، وبقيَ ذكره مخلّداً، وشرفه ناصعاً بين أقرانه، إنّه خطاب المعرفة وبناء الثقافة عند أمير المؤمنين عليه السلام ينطلق من الذات، لا بالاعتماد على صفات بعيدة عن عالم العمل والاختيار.

التأثير على الآخرين

من الحاجات الأساسية لدى الإنسان تحقيق ذاته في وسطه النفسي والاجتماعي، ومن طرق تحقيق الذات التأثير على الآخرين، وكسب المقبولية في قلوب ومشاعر الناس، ويسعى الكثير إلى تحقيق هذا الأمر المهم في حياتهم، ليتركوا أثراً طيباً محموداً في كلّ مكانٍ يمكن أن يكونوا فيه، وفي نفس كلّ شخصٍ يلتقون به في مختلف المناسبات، وهذا الأمر كلّما كان عن تنظيم ودراسة وتطبيق بعض الأساليب والطرق والخطوات كان احتمال حصوله أقرب وأسهل، وربما يكون بعضٌ قدوة حسنة، ومثالاً يُقتدى به في التأثير على غيره.

كيف أؤثر على الآخرين:

عدّة خطوات يمكن القيام بها في التعامل مع الناس لتحقيق نسبة عالية من التأثير في نفوسهم، وتحصيل المقبولية تجاه الآخر:

١- تجنب قول الكلام السلبي الذي لا يرضاه المقابل، ويمجّ سماعه، حتى لو كان حقيقة، بل اختيار الأسلوب الإيجابي، وطريقة بيان الحقائق بالنحو الذي يجعل السامع ذا ثقة بتعبيرك، حتى لو كنت في مقام النقد والتوجيه.

٢- التحلّي بصفة الصبر على ما يصدر من الآخرين من مواقف، والمحافظة على ذلك الصبر، ودعمه بالحكمة والحلم، خاصّةً في أوقات الضغوطات النفسيّة عند المتكلّم أو المخاطَب، بذلك سوف يحفظ الإنسان لسانه عن الكلام غير المقصود، ويبعد المقابل عن التفكير في الخطاب أو الموقف الهجومي، فإنّ الصبر يزرع الأمل، والثقة، والحبّ، والحكمة عند الطرفين.

٣- قضاء حوائج الآخرين، وتقديم الخدمات التي تنفعهم في مختلف المواقف، ويكون ذلك دون إخبارهم وإعلامهم بذلك، فإنّ هذه الطريقة في التعامل مع الناس من أكثر الطرق المؤثّرة على مشاعرهم تجاه صاحبها، لكون تقديم المساعدة للآخرين أمر محبوب عند جميع الأفراد والمجتمعات، ويثمنون مواقف الإعانة والخدمة بمشاعر الاحترام والقبول تجاه الفاعل.

٤- التعامل مع أفضل احتمال وأحسن وجه في ما يصدر عن الآخرين (احمل أخاك على سبعين محمل)، فاحمل غيرك على حسن النيّة، وأنّه يفعل ما يفعل، أو يقول ما يقول، عن حسن قصد، فإنّ ترك الحكم على الآخرين بطريقة سلبيّة.، يقربهم مع ذلك الشخص من الإيجابية.

٥- الإقبال على المتكلّم، والاستمتاع له بكلّ اهتمام واحترام، وتُقبل عليه بقلبك، وبعقلك، وبلسانك ، هذا يسبب ردّة فعلٍ تجاهك تحمل معها زيادة ثقة وحبّ الناس لك، وتحمّلهم السلوك أو التصرّف الصادر عنك.

٦- التمييز بين الشخص وسلوكه، والإنسان الواعي يكره الذنب وليس المذنب، بل المذنب هو

مورد النصح والإرشاد والمسامحة، وما أحوجنا اليوم إلى أن نفرّق بين الفعل وصاحبه، فيكون الحكم على الأفعال، لا على الذوات.

٧- بناء الحوار مع الآخرين على نظام (كسب القلوب مقدّم على كسب الآراء)، فقد تكون على صواب في محاورة بعض الأشخاص، وقد يكون من الحكمة أن لا تشدّ عليه في الردّ؛ كسباً لقلبه، حتى وإن كنت تعتقد نفسك الأصوب، فالتنازل عن كسب رأي لأجل كسب قلب من صفات العقلاء.

٨- الحرص على وفاء الوعود والاتفاقات المبرمة مع الناس، فإنّ الوفاء بالوعد من الأخلاق الحميدة عند الناس، وصاحبها محبوب ومقبول اجتماعياً، كما أنّ الوفاء بالوعد صفة ترتبط بالصدق والاستقامة، وبه ينبت شعور الثقة بين الأشخاص، وتتأكد روابط التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع.

٩- الاهتمام بفهم الآخرين للموضوع أو الموقف، وتقمّص دور المقابل، والتفكير بما يفكر به المخاطَب، واستخدام أُسلوبي المنطق والمشاعر، ومنح الوقت اللازم للآخرين، والإصغاء لهم باهتمام، والتعبير عن المشاعر بصدق وجدية، فإذا وجد الناس هذا الاهتمام من شخص، زادت ثقتهم وتقديرهم.

١٠- العمل على إعادة أو إصلاح العلاقات التي تخللتها المشاكل؛ لأنّ القطيعة تضخّم المشكلة، والتباعد يؤدّي إلى فقدان السيطرة على القلوب والمشاعر، لذلك ينصح بإصلاح الخلافات بصدق وطِيب نفس، وحسن نية.

١١- الاعتراف بالخطأ والاعتذار من الطرف الآخر، فإنّ الخطأ أمر وارد الصدور من الإنسان، ولا يستطيع أحد أن يدعي العصمة مهما كان له من المميّزات، والخطأ الأكبر هو الإصرار على الخطأ، وعدم الاعتراف به، واعتبار الرجوع عنه نقيصة، وهذه صفة سلبية تنزع حبّ الناس لصاحبها من قلوبهم .

١٢- التعامل حسب الشخصية المقابلة، وذلك بتخصيص بعض الوقت لكلّ شخص، والتواضع أثناء التعامل مع الآخرين. تقبّل الآخرين كما هم؛ لأنّ عدم تقبّل الآخرين يدفعهم للتوقّف عن استماعك.

صفة الكلام

إنّ مسألة التكلّم بالنسبة لله تعالى مسألة طرحت على بساط المناقشات في تاريخ علم الكلام، وقد شغلت ماهية كلامه جلّ ذكره -هل هو حادث أو قديم- فكر العلماء والمفكّرين الإسلاميّين في عصر الخلفاء، وحدثت بسببها مشاجرات، بل صدامات دامية ذكرها التاريخ وسجّل تفاصيلها عرفت بـ(محنة خلق القرآن)، ويرى بعضٌ أنّ السبب في إطلاق مصطلح (علم الكلام) على هذا العلم، فالمقصود بالكلام:(كلام الله عزّ وجلّ)، وهذا يبيّن لنا أهمية هذا الموضوع.

حقيقة كلام الله عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام

ورد ذكرها في الكتاب العزيز حينما خاطب الله تعالى نبيّه موسى في الوادي المقدّس طوى بقوله جلّ ذكره: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(القصص:آية٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء:آية١٦٤). أي: إنّ الله تعالى قد خلق الكلام في الشجرة في البقعة المباركة؛ ليوصل بذلك مقصوده إلى موسى عليه السلام، وعليه فكلام الله عند الشيعة الاثني عشرية هو عبارة عن أصوات وحروف يخلقها الله ليوصل عن طريقها مقصوده إلى المخاطَب، ويُسمّى هذا الكلام بـ(الكلام اللفظي) (ينظر: النكت الاعتقادية، المفيد: ص٢٧)، وعن الرضا عليه السلام قال: «فكلّمه [أي: موسى] الله تعالى ذكره وسمعوا [أي: قوم موسى] كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأنّ الله (عزّ وجلّ) أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه» (مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي: ج٢، ص١٢٨)؛ لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة، ولا لَهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات» (المصدر السابق: ص٢٥).

حقيقة كلام الله عند المدارس غير الشيعية:

الأشاعرة: يقولون بأنّ الله تعالى متكلّم،

ولكن يختلفون عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وكذلك عن المعتزلة من حيث كون الصفة صفة ذاتية أم صفة فعلية؟ وكذلك ماهية الكلام هل هي ألفاظ وحروف أو أنّها حديث نفس؟ وهل كلامه حادث مخلوق أو أنّه قديم؟ وزبدة ما قالوا في هذه الصفة هو أنّها: «صفة أزلية قديمة، قائمة بذات الله، غير منفصلة عنه، ويستحيل على الله ضدّها. وهذه الصفة لله تعالى ليست بحرف ولا صوت... لا نثبت لله تعالى إلّا كلام النفس» (الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ص٩٢ـ ٩٣).

يلاحظ على اعتقاد الأشاعرة هو أنّهم جعلوا صفة الكلام صفة ذاتية قديمة وليست فعلية حادثة، وأنّ كلام الله ليس بحروف ولا أصوات، بل هو حديث نفسي لا غير أي المعنى القائم بالنفس.

وهذا الرأي ناشئ من توهم أنّ صورة الكلام اللفظي المتمثلة في أفق النفس هي كلام نفسي، ولكن هذا التوهم خاطئ، لسببين:

«الأوّل: أنّ هذه الصورة وإن كانت موجودةً في أفق النفس ومتمثلة فيه، إلاّ أنّها ليست بكلام نفسي، ضرورة أنّ الكلام النفسي عند القائلين به مدلول للكلام اللفظي، والمفروض أنّ تلك الصورة بهذا الإطار الخاص ليست كذلك، لما عرفت من أنّ مدلول الكلام سواء أكان إخبارياً أم إنشائياً أجنبي عنها.

الثاني: أنّ هذه الصورة نوع من العلم والتصور وهو التصور الساذج، وقد تقدّم أنّ الكلام النفسي عندهم صفة أخرى في مقابل صفة العلم والإرادة ونحوهما) (شرح المواقف، الشريف الجرجاني:ج١، ص٥٦).

المعتزلة:

قالوا بأنّ الله متكلّم، وحقيقة كلامه تعالى هي كونه مؤلف من حروف وأصوات، ولكنّها ـ أي: الحروف والأصوات ـ ليست قائمة بذاته، وإنَّما يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ، أو الملك جبريل، أو النبي صلى الله عليه وآله وهي حادثة وليست قديمة أزلية.(ينظر: شرح المواقف، الإيجي: ج٨، ص٩١ ـ ٩٢). فخالفوا بذلك الأشاعرة في كون صفة التكلّم هي ليست صفة قديمة بل هي حادثة، كما أنّها ليست بذاتية قائمة بذاته، بل هي حادثة مخلوقة، ودليلهم قوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾ (الرعد: ١٦).

وهذا استدلال ضعيف فالمراد من قوله تعالى: اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ... [الرعد: ١٦]. أي: كلّ شيءٍ مخلوقٍ، وكل موجودٍ سوى الله، فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى وصفاته؛ لأنّه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة لا يتصور انفصال صفاته عنه

وبما أن القرآن كلام الله، وكلامه تعالى صفة من صفاته. إذاً القرآن ليس داخلاً في عموم الآية، فهو ليس مخلوقاً؛ وبذلك يبطل استدلالكم بهذه الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾

سورة التوبة: آية ٣٠

تشير قصة النبي عزير عليه السلام إلى رجل سافر على حماره ومعه طعام وشراب، فمرّ بقرية قد تهدّمت وتحوّلت إلى حطام تتخلّله عظام أهاليها النخرة. فقال متعجباً: كيف يقدر الله على إحياء هؤلاء الأموات؟

وطبيعي لم يكن تساؤله عن شكّ أو ظنّ، بل كان من باب التعجّب لكيفية الإحياء؛ إذ إنّ القرائن الأُخرى في القرآن تدلّ على أنّه كان أحد الأنبياء، ولا يمكن لنبي أن يشك في هذا الأمر.

﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ﴾(البقرة: آية ٢٥٩).

وأتاه الجواب العملي من الله (عزّ وجلّ)، فأماته مائة سنة، ثمّ أحياه بعدها وسأله عن مدّة نومه، فقال: يوماً أو أقل، فخاطبه الله بقوله: بل بقيت هنا مائة سنة، ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾(البقرة: ٢٥٩). لم يفسد طوال هذه المدّة ولم يصبه أيّ تغيّر بإذن الله. فالله القادر على إبقاء الطعام والشراب دون فساد، هو قادر أيضاً على إحياء الموتى بيسر.

لم تشرْ الآية إلى ماهيّة طعام النبيّ وشرابه، لكن السياق يدلّ على أنّه قابل للتفسخ سريعاً، لذلك فإنّ بقاءهما هذه المدّة الطويلة دون تلف أمرٌ مهم.

﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: آية ٢٥٩).

ولزيادة اليقين والإيمان خاطبه الله تعالى أن انظر إلى حمارك الذي تلاشى، ولم يبقَ منه شيء، بحسب نواميس الطبيعة، بخلاف طعامك وشرابك، ثمّ انظر كيف إنّنا نجمع أعضاءه ونحييه مرّة أخرى. فعندما رأى كلّ هذه الأُمور أمامه قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: إنّني الآن على يقين بعد أن رأيت البعث بصورة مجسّمة أمامي.

في هذه القصة أمر مهم يخصّ عقيدتنا في البعث والنشور، وأنّه تعالى أحياناً يختار أجوبة ومواقف عملية؛ لتأكيد المفاهيم الدينية - خصوصاً ما يتعلّق بالأصول والعقائد - لأهميتها، وهو من منه وإحسانه إلى العباد؛ حتى يقطع عنهم الشكوك والتردد، وما يترتب على ذلك من المعاصي والآثام.

التَّشَاؤُمُ

يربط الكثير من الناس بعض الحوادث والمواقف بأمور غير عقلائية، ليس لها علاقة بها لا من قريب ولا من بعيد، وهذا خلاف ما عليه الفطرة الإنسانية السليمة، وما عليه ديننا الحنيف، فنرى أنّ دين الإسلام نهى عن التطيّر والتشاؤم، ونهى عن ربط بعض الأمور ببعض دون علل أو أسباب عقلائية، لكن نجد بعض شعوب العالم لا زالوا يعيشون تلك الخرافات والأوهام، بل يرونها متلازمة لا تنفكّ ولا تتغيّر أبداً، ويتعاملون معها بكلّ واقعية، وهناك بعض التصرّفات التي لا تنبئ عن تحضّر الإنسان، ولا تعكس مستوى ثقافته، فمثلاً: يتشاءم الألمان من التهنئة المبكرة بعيد الميلاد؛ إذ يعتقدون أنّ من تتم تهنئته قبل موعد عيد ميلاده الفعلي، فإنّه سيلقى حتفه قبل أن يحتفل به! وهذا من غريب العادات التي لا زالت تعيش في تلك الأمم، هذا مع تطورها في مجالات الطبّ والصناعة والتكنولوجيا والزراعة وغيرها، مع أنّ كلّ البشر يُدرك أنّ الموت وميعاده ليس بيد الإنسان، ولا بيد هذه الملازمات الباطلة، بل يعتقد الكثير من البشر -كما عليه الأديان السماوية- بأنّ المؤثر الوحيد بالموت في عالم الأسباب هو الله جلّ شأنه، وأنّه ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة غافر: آية ٦٨)، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(سورة لقمان: آية ٣٤)، ومما يجزم به أنّ منطق التشاؤم هو منطق الجهل والضلال، قال تعالى: ﴿قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَـئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة يس: آية ١٨)، وصدق الشاعر:

لَعْمري ما تَدْري الطَّوَارِقُ بالحَصَى
وَلا زَاجِراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صَانِعُ

وممّا يؤسف له أنّ هذه الأوهام دبّت إلى مجتمعاتنا المسلمة، فترى الكثير يتشاءم من الغراب، أو حدوث أمر مفاجئ أمامه، أو غير ذلك، فعند بعض الناس لا يجوز زيارة قبر الميت مثلاً قبل أربعينه، والخروج مشؤوم عند سماع صوت الغراب، وغير ذلك، وكلّ هذه الأمور غير واقعية، وأساس القيام بالأعمال يكون بالتوكّل على الله تعالى؛ إذ هو المؤثر في الأشياء كلّها، وهو على كلّ شيء قدير.

بلوغ الفتى والفتاة

كنت ذاهباً يوماً إلى محل وظيفتي بسيارتي الخاصّة، فإذا بصوت غريب يتردد جيئة وذهاباً، ويعلو تارة وينخفض أخرى في محركها، فذهبت إلى المنطقة الصناعية لإدامة السيارات وصيانتها، حيث كانت في طريقي، فمررت بأحد مختصي صيانة المحركات، وكان لي معرفة قديمة به، فقال لي: بعض بطانات احتكاك المحرك تالفة، وعليك استبدالها، وإلّا أثّر ذلك على عمود المرفق ـ الكرنك ـ بالتلف أيضاً.

فأرسلني إلى أحد بائعي الأدوات الاحتياطية لجلب ما أوصاني به، فسلّمت عليه، وهو فتى يافع في مقتبل العمر، فجلب لي الأدوات المطلوبة، وأعطيته ثمنها، ورجعت إلى صاحبي، وسلّمتها له، وذهبت بعدها إلى دوامي الوظيفي، على أن أعود بعد انتهائه إلى صاحبي.

وبعد رجوعي وجدت صاحبي غاضباً، فتوجست خيفة من عدم اكتمال السيارة، أو وجود علّة ثانية فيها.

فقلت له: ما الخبر أراك غاضباً؟

قال: صاحب الأدوات الذي أرسلتك إليه فعل زوبعة، وتعدى عليّ وعليك ببعض الكلام الجارح.

فقلت: ولِمَ فعل الفتى ذلك؟

قال: ليس الفتى بل أباه، لأنّك لم تدفع ثمن الأدوات كاملاً.

قلت: بل دفعت الثمن كاملاً ونقداً.

عندها حضر والد الفتى، وقال له صاحبي: ما قولك الآن؟ فقد دفع الرجل تمام المبلغ لولدك.

فقال والد الفتى: هناك نقص بالمبلغ الذي دفعه.

فقلت لوالد الفتى: بناء على طلب ابنك دفعت له ثمن الأدوات، ولم اقتطع منه فلساً واحداً.

قال: كلامك صحيح لكن الربح قليلٌ جداً.

فقلت: هذا شأنك يا أخي، فما دام العرف والشارع المقدّس يؤيد هكذا ربح، وهو متعارف عند أهل الاختصاص من بائعي الأدوات، وليس فيه غبن، ولا بخس حق للآخرين، فلا يحق لك المطالبة بأي زيادة كانت.

فقال والد الفتى: إنّه طفل في الخامسة عشر من العمر، فلا يؤخذ بكلامه.

فقلت: لا، كلامك غير صحيح، فولدك قد بلغ مبلغ الرجال، فهو بالغ وعاقل، وأصبح مكلّفاً شرعاً قبل إكمال عامه هذا، فيؤخذ بكلامه، ويعتمد عليه، وقال لي السعر الأساسي للأدوات مضافاً عليها الربح أيضاً.

فقال والد الفتى: عذرا، وكم يصبح عمر الفتى ليبلغ شرعاً؟

فقلت: يبلغ الفتى بأحد أمور ثلاثة:

الأول: عندما يكمل خمس عشرة سنة هلالية على المشهور، أي: أربعة عشر عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً تقريباً.

الثاني: نبات الشعر الخشن على العانة، ولا اعتبار بالزغب والشعر الضعيف.

الثالث: خروج المني، سواء خرج بيقظة، أم نوم، أم باحتلام، أم بجماع، أم غيرهما.

فقال: بالمناسبة وما عمر بلوغ الفتاة؟

قلت: علامة البلوغ في الأنثى إكمال تسع سنين هلالية، أي: ثمان سنوات وثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً تقريباً.

فقال: وهل تصبح مكلّفة شرعاً؟

فقلت: كلّ فتى وفتاة عندما يبلغا سن البلوغ المذكور آنفاً يصبحا مكلّفين بالأوامر الإلهية من صوم، وصلاة، وحج، وخمس، وزكاة، وغير ذلك من التكاليف الشرعية.

فقال: وأي شيء يعتبر فيه البلوغ؟

قلت: يعتبر البلوغ في المضاربة، ويعتبر في المودع والودعي، ويعتبر في سائر المعاملات والعقود، وفي الراهن والمرتهن، وفي الاقتراض والمقترض، ويعتبر في الضامن والمضمون له، ويعتبر في المحيل والمحال و المحال عليه، ويعتبر في الكفيل والمكفول له، ويعتبر في المتصالحين كذلك، ويعتبر أيضاً في الوكيل والموكّل له، ويعتبر بالواهب أيضاً، وفي الوصي والموصي وغيرها.

فقال: عذراً، وماذا تقصد بالمحيل والمحال والمحال عليه؟

قلت: هذه ألفاظ تابعة لموضوع الحوالة، فالمحيل مَن أرسل الحوالة، والمحال هي الحوالة نفسها، والمحال عليه مَن استقبل الحوالة.

الانتفاع بالزمن

الزمن كالمال، كلاهما يجب الاقتصاد فيه وتدبيره، وإن كان المال يمكن جمعه وادّخاره لوقت الحاجة بخلاف الزمن، وإنا نعيش في زمن محدود، ليل ونهار يتعاقبان بانتظام، ليس يطغى أحدهما على الآخر، وحياة مقسّمة إلى صبا، فشباب، فكهولة، فشيخوخة، ولكلّ قسم عمل خاص لا يليق أن يعمل في غيره، كالزرع إذا فات أوانه لم يصح أن يزرع في غيره، وحياة محدودة، فإذا جاء الأجل فلا مفرّ من الموت. وما فات من الزمن لا يعود، فالصبا إذا فات لا يرجع أبداً، والشباب إذا مرّ لا يعود أبداً، والزمن المفقود لا يعود أيضاً.

وإذا كان محدوداً ولا يمكن أن يمدّ فيه أو يقصر، وكانت قيمته في حسن إنفاقه، وجب أن نحافظ عليه ونستعمله أحسن استعمال، وليس للانتفاع بالزمن والمحافظة عليه إلّا طريق واحد، هو أن يكون لك غرض في الحياة يتناسب مع الجانب الأخلاقي، بمعنى أنّه لا يتعارض من قيمة أم مبدأ صحيح ومقبول في المجتمع، فتنظّم زمنك للوصول إليه.

هل يضيع الوقت أو الزمن؟

يضيع الوقت بأمرين:

الأول: ألّا يكون للإنسان غرض منشود يسعى إليه، فالقارئ الذي يقرأ كلّ كتاب يقع في يده من غير أن يكون له غرض معيّن، أو موضوع خاص أو دراسة مسألة خاصّة، فإنّه يضيع وقته، كمَن يمشي في الطريق من غير هدف، فإنّه يسير من شارع لشارع ويتنقل من منطقة إلى منطقة، ولا يجني شيئاً، بل يكون وقته هدراً ضائعاً.

إنّ تحديد الغرض وتعيين ما يريده الإنسان

من تصرفاته يوفر له مساحة زمنية كبيرة، ويجعل حركات الإنسان وسلوكه في الحياة على نور وهدى، فكلّما صادفته أمور، أو عرض له موقف فإنّه يتصرّف حسب الغرض الذي في نفسه، وبذلك سوف ينجح في اختيار ما يساعد في تحقيق ذلك الغرض، ويتجنب ما لا يتفق معه .

إنّ الذين لا يضعون لسلوكهم أهدافاً، ويمرّ الزمن عليهم دون حساب أو تنظيم، لا نتوقع أن يصدر عنهم إنجاز كبير، أو يأتون بعمل نافع بالمستوى المطلوب، فالإنسان بلا غرض كالسفينة في البحر بلا مقصد. ويلاحظ أنّ أكثر الناس عملاً أوسعهم زمناً، ذلك أنهم يوجّهون أعمالهم حسب نظام زمني مدروس، ولا يصرفون زمنهم في التردد والاختيار، وهم الذين يخلقون الظروف التي تلائم أعمالهم، ويتصرّفون فيها حسب أغراضهم في الحياة.

الثاني: ربما يكون الإنسان قد حدد غرضاً وهدفاً لسلوكه، لكنّه لم يخلص في عمله لذلك الهدف، فمثلاً لم يكن عمله لذلك الغرض جدياً بدرجة كافية، أو هو قد لا يشتغل بما يتفق معه؛ وهذا أيضاً يسرق منه الوقت، ويضيّع عليه الفرصة في الاستفادة منه، فإنّ عدم الغرض وعدم الإخلاص له شريكان في ضياع الوقت من الإنسان، كما ويضيعان فائدة العمل أيضاً، فإنّ من النتائج الفرعية لعدم الإخلاص تأجيل وقت العمل، وعدم الدقة في مراعاة الوقت، وإنّ تأجيل أو تأخر دقائق عن وقت المباشرة بالعمل يسبب ضياع واستهلاك دقائق ثمينة من وقت العمل، وينتج عن ذلك إمّا الإسراع في العمل، وغياب الدقة فيه؛ ليعوض الزمن الفائت، وإمّا التعدي على أوقات خصصت لواجبات أُخرى، ومن هذا النحو تأجيل العمل إلى وقت غير وقته، فالعمل المؤجل يكون ثقيلاً، ويبعث على الكسل، لكونه في غير وقته.

هل هناك فترات للراحة؟

إن التأكيد على إنجاز كلّ عمل في وقته المناسب، والحثّ على إتمام الفائدة من العامل الزمني، أنّنا ننكر ضرورة وقت الراحة، بل إنّ وجود أوقات الراحة يجعلنا أقدر على العمل، على أن لا تُستثمر تلك الأوقات في ما ينافي العمل، أو ما يسبب التهاون والكسل في أدائه، فإذا قضيناه – مثلاً – في نوم أو شيء مفيد كالرياضة البدنية، فإنّ ذلك يفيد في العمل، ويخدم الغرض.

الزمن هو المادة الخام للإنسان، كالخشب الخام في يد النجار والحديد في يد الحداد، فكلّ يستطيع أن يصوغ منه حياة طيبة بجده، وحياة سيئة بإهماله، ولأجل أن نجعل لحياتنا قيمة يجب أن نقضي أوقاتنا فيما يتفق وأغراضنا (ينظر: كتاب الأخلاق، أحمد أمين: ص١١٧ ـ ١١٨).

وَعَاشِرْنَهُمْ بِالْـمَعْرُوفِ

العلاقة ما بين الزّوج وزوجته فيما بعد عقد القران والزفاف هي علاقة صنعتها يد الرحمن، ورعتها برعايتها، من الصعب تكسّرها وتفكّكها؛ لأنها بنيت بيد مالك التكوين والخلق، وهو الذي ألّف بين الأفئدة، وغرز المحبّة والحنان في الزوج وزوجته، حتى صارا كياناً واحداً بالمشاعر والأحاسيس، وانصهرا في بوتقة الحبّ والوئام، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم: آية٢١)، لكن ثمّة بعض الأفعال والتصرفات من الزوجة في بعض الأحيان تكون سبباً في تنغيص تلك الأجواء الإلهية السامية، وتكون سبباً في تفكيك عُرى العلاقة ما بين الزوجين، ومن أهم تلك الأسباب هي مقابلة الإساءة بالإساءة، وردّ الخطأ بالخطأ، وهو ما يشنّج النفوس، ويصلّب المواقف، عندها تكون عقدة المشاكل قد استحكمت، وأبواب الفراق قد فُتّحت! وهذا بعكس ما لو كان ردّ الفعل من الزّوجة هادئاً، قد قابلت الإساءة بالبرود، والخطأ بالتعقّل، فإنّ الأمور ستنقلب، ونتيجة المعادلة تكون بالإيجاب لصالح الأسرة المكرّمة لا بصالحها فحسب، وهذا ما دعت إليه كلمات المعصومين عليهم السلام وسيرتهم العملية، قال نبيُّ الرّحمة صلى الله عليه وآله: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الَّتِي إِنْ غَضِبَتْ أَوْ أَغْضَبَتْ قَالَتْ لِزَوْجِهَا: يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغُمْضٍ حَتَّى تَرْضَى عَنِّي»(روضه المتقين، العلامة المجلسي: ج٨، ص١٠١)، وهذا هو الحلّ في مواطن الغضب والمشاكل، لا ذلك الحل الذي تدفع باتجاهه بعض الأمهات وصديقات السوء والأقرباء، بأن لا تتنازلي لزوجك، وقفي بوجهه، ولا تعطيه فرصة للتسلّط عليك، وردّي عليه الكلمة بكلمتين، والصّاع بصاعين، فهكذا يجب أن يكون التعامل مع الأزواج، بعدها ستجدين نفسك سيدة المواقف، وسيكون لكِ الأمر من قبلُ وبعدُ! والمسكينة تسمع لهذا وذاك، دون أن تكلّف نفسها لسماع نداء المعصومين عليهم السلام، وتتعقل كلماتهم النورانية التي لا يريدون منها سوى إعزاز موقف المرأة وإعظام قدرها، وأن تكون هي سيدة المواقف بامتلاك قلب زوجها قبل أن تملكه غيرها! وأن تكون هي القريبة من روحه قبل أن تريحه غيرها! فبادري بالمواقف الإيجابية، وامتصي غضب زوجك، واعتذري له وإن لم تكوني مخطئةً، وابشري برضا ورحمة السماء.

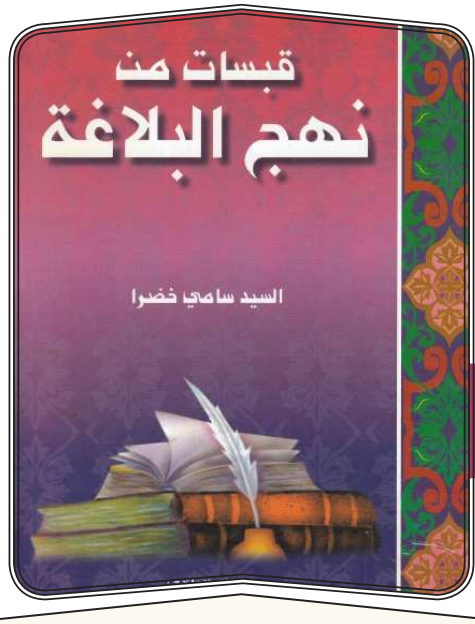

قبسات من نهج البلاغة
السيد سامي خضرا

أجيال وأجيال تدارست كتاب نهج البلاغة، وسبرت ما استطاعت من أغواره، لكنّها لم تصل إلى الغاية، لأنّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال ذلك صلى الله عليه وآله أكثر من مرّة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله لرجل اشتكى عليا: «لا تقع في عليّ فإنّه منّي وأنا منه وهو وليكم بعدي»(مسند الإمام أحمد، احمد بن حنبل: ج٢، ص٤٣٨)، وقال أيضاً: «مَن أبغض عليّاً فقد أبغضني ومَن فارق عليّاً فقد فارقني، إنّ عليّاً مني وأنا منه خُلق من طينتي وأنا خلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم»(كنز العمال، المتقي الهندي: ج ٦، ص ٢٩٨).

الكلام في منزلة أمير المؤمنين عليه السلام كلام طويل الذيل؛ لأنّه عن الدين والإسلام والتنزيل والتأويل، وكلام عن القرآن والمعرفة الوحيانية؛ لذا كان لكلامه وخطبه وحكمه ومواعظه هيمنة وسلطنة في عالم المعرفة، وممّن كتب في هذا الصدد العلامة السيّد سامي خضرا، وكتابه: (قبسات من نهج البلاغة)، قراءة عصرية تخاطب مثقفي العصر وشبابه بلغة يفهمونها، وينتفعون منها، وهذا أمر له كبير القيمة في الواقع، وقد قسم كتابه إلى مقدّمة وفصول، تحدّث في الأول عن أمير المؤمنين عليه السلام ونهج البلاغة، وفي باقي الفصول وهي أربع: عن الأخلاق، والجهاد، والسياسة، والحكم والقضاء، ناقش فيها الباحث مناحي الحياة المذكورة آنفاً في نهج البلاغة، بأسلوب يتميّز بالسلاسة والموضوعية، وبلغة عصرية يفهمها مثقف العصر، وفق الله كلّ ساع لنشر الثقافة والمعرفة .

رؤيا رجل فسّرها أمير المؤمنين عليه السلام

قال المحدّث الجليل الشيخ عباس القمي: نقل شيخنا المتبحّر ثقة الإسلام النوري في (دار السلام) عن خطّ الشهيد الأول رحمه الله: قيل: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت في منامي:

كأنّ لبنة ساجدة لنصف لبنة.

و كأنّ دابة لها فمان في رأس واحد تأكل بهما.

و كأن بقرة شاربة من ابنتها.

و كأن أربعة نفر، حسان الوجوه، غابت ثلاثة و بقيّ واحد؟!

فقال عليه السلام:

«أمّا اللبنة الساجدة لنصف لبنة، فانّه يأتي على الأمّة زمان تذلّ فيه الأخيار للأشرار.

وأمّا الدابّة التي لها فمان في رأس واحد تأكل بهما كذا.

و أمّا البقرة الشاربة من ابنتها، فإنّه يأتي على الأمّة زمان تأكل النساء من فروج بناتهنّ.

و أمّا الأربعة نفر حسان الوجوه فهنّ: الأمانة، و الزكاة، و صلة الرحم، و الصلاة، فانّه يأتي على الأمّة زمان يرفع فيه الأمانة، والزكاة، وتنقطع فيه صلة الرحم، وتبقى الصلاة تصلّى سمعة ورياء، فإذا كان كذلك سلّط اللّه عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم و لا يسمع منهم، نعوذ باللّه من ذلك و من سوء التوفيق» (دار السلام، حسين النوري الطبرسي: ج٤، ص٣٧٤).

أثر الحسنة الواحدة

رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنهُ قَالَ: «يُؤْتَى بِعَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ اذْكُرْ هَلْ لَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَقُولُ: مَا لِي مِنْ حَسَنَةٍ، غَيْرَ أَنَّ فُلَاناً عَبْدَكَ مَرَّ بِي فَسَأَلَنِي مَاءً يَتَوَضَّأُ بِهِ لِيُصَلِّيَ فَأَعْطَيْتُهُ، فَيُدْعَى بِذَلِكَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي جَنَّتِي»(مستدرك الوسائل، المحدّث النوري: ج١، ص ٣٥٣).

السلام عليك

يا علي بن محمد الهادي

الشرفاوي

٢/ رجب الأصب / سنة (٢١٢هـ)

ولادة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

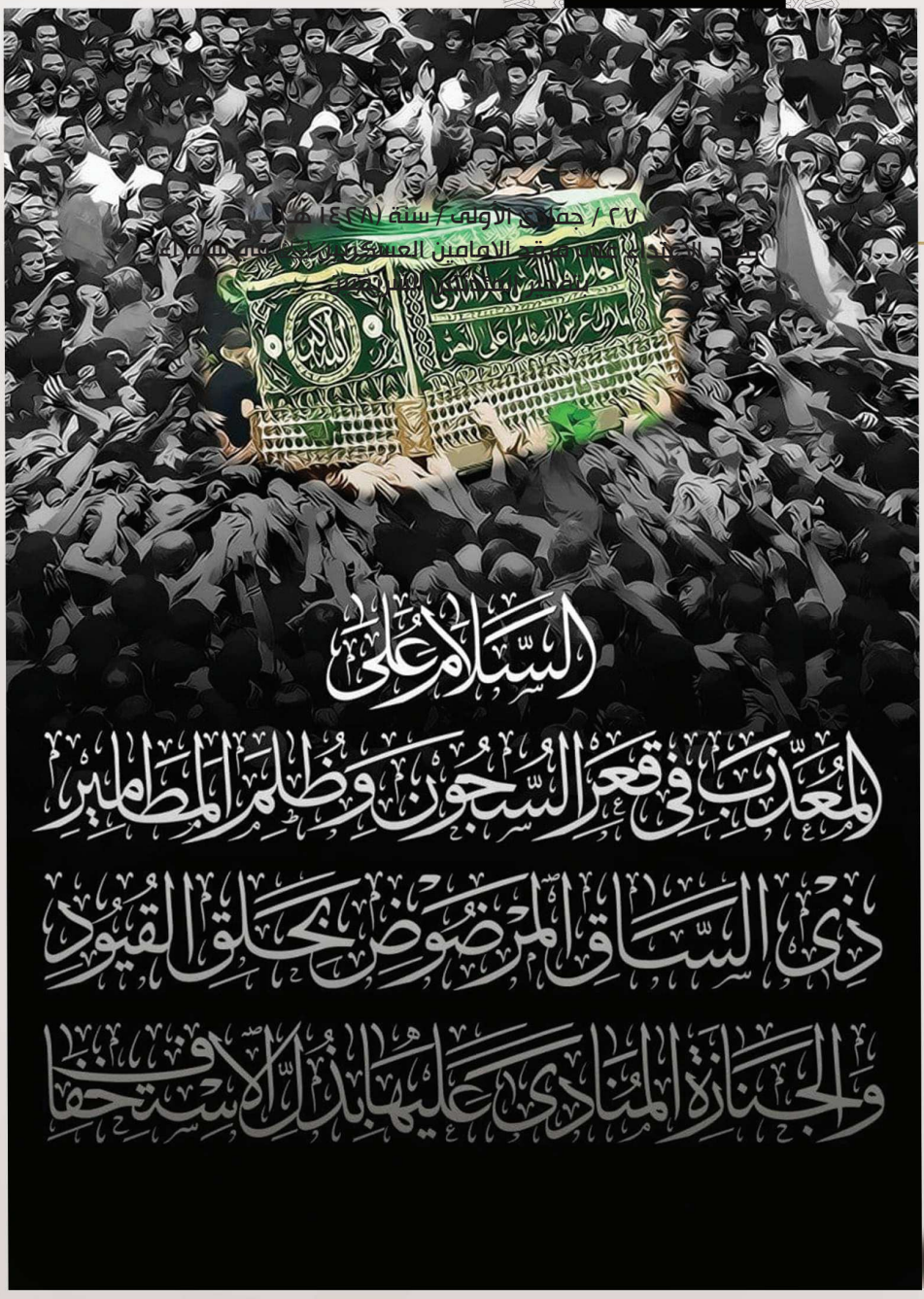

قسم الشؤون الدينية
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186